بذور مطر

هل كنتُ مغيَّبا إلى هذا الحدِّ؟ أم أنني صرتُ جزءًا من روحِ الميدانِ لأتحوَّلَ إلى نغمةٍ في تغريدتِه الجنائزيَّةِ؟ فها أنا أستفيقُ فأفاجأ بنظراتٍ من حولي تُصَادِقُ الغَدْرَ، عيونٌ يملأها التَّجَهُّمُ وكأنني عدوُّها الأولُ وقاتلُ أهلها أجمعين.

قبل غيبوبتي المفتَرَضَةِ أو تصفيةِ جسدي، كانت كلُّ الوجوه هنا وجهًا واحدًا، لا تستطيع من فَرْطِ الألفةِ أن تفرِّق بين غضبِ وجهٍ ووجهٍ، بين ابتسامةِ وجهٍ ووجهٍ، بين حماسِ يدٍ ويدٍ، بين تَطَلُّعِ عينٍ وعينٍ، فكانتْ كلُّ الوجوه بذورَ مطرٍ.

لكنَّ العينَ المتجهِّمةَ بجانبي الآن لا تحملُ إلا عيونَ ماءِ نارٍ يمكنها أن تنزعَ وَصَلَاتِ روحي، أن تقتلعَ وصلاتِ نغمةٍ من تغريدةٍ جنائزيَّةٍ. كنتُ أتمنى أنْ أَكُونَ في كابوسٍ لأُغْمِضَ عينيَّ في المنام كي أنام، لكنَّ عينيَّ تظلان مفتوحتينِ وتظلُّ العيونُ متجهِّمَةً، وتنقلُ تجهُّمَها من النظرة إلى الرشقِ بالسكاكينِ.

أفرُّ إلى وسط الميدانِ في انتظارِ وجوهِ أصدقائِه، وأتسلَّى بأنْ أفكِّكَ نغماتِ تغريدتِه، فربما نستطيع أن نحوِّلَ الجنازةَ إلى عُرسٍ، ونحوِّل العيونَ المتجهِّمةَ إلى سُحُبٍ تقذفُنا ببذورِ مطرٍ.

٩ ديسمبر ٢٠١١